



هناك جملة من الأمور دفعت بعجلة (الدولة) لقطع مراحلها المرسومة بأسرع مما كان متوقعاً، فالظلم الذي مارسته حكومة المالكي و مليشياته الطائفية والذي لم يشهد له العراق مثيلاً منذ الغزو المغولي جعل أهل السنة يتطلعون بلهفة للبديل أيا كان، إنهم ليسوا في سعة من أمرهم ليفاضلوا بين الأيديولوجيات والسياسات والاحتمالات المستقبلية وما إلى ذلك، وهذه لا شك - فرصة كبيرة لمشروع (الدولة) لغسل الذاكرة السنّية والتي كانت تحتفظ بملفات سوداء للحقبة التي سيطر فيها التنظيم على بعض مناطقهم.

ثم جاء الحراك الشعبي في المحافظات الست ليضيف عاملاً آخر، فقد كانت الخطابات الحماسية ولبس الأكفان من قبل قادة الحراك وخطباء المنصات، مع أنهم في الأغلب لا يمتلكون الخبرة الكافية لتوظيف هذه الحالة النفسية والمعنوية الصاعدة لدى الجماهير وخاصة الشباب، من هنا كانت الأرض ممهدة تماماً لعمليات التجنيد من قبل التنظيم الأقوى وصاحب الخبرة العربية والإمكانيات الهائلة في هذا الشأن.

إن قادة الحراك لم تكن تنقصهم الشجاعة، فقد تحذّوا المالكي و مليشياته لما يزيد على السنة، لكن ضعف الخبرة التنظيمية وقلة ذات اليد والتلخّوّف من طرح أي مشروع قد يثير الخلاف جعلهم في النهاية وكأنهم يمارسون دوراً مرحلياً لا أكثر، ومن المفارقات هنا أن أغلبهم اليوم يعيشون خارج مناطقهم بعد أن سيطرت عليها (الدولة)، لأن تخوّفهم على حياتهم من حكم (أمير المؤمنين) لا يقل عن تخوّفهم من حكم (ولاية الفقيه) مع فقدان روح المقاومة للأول بخلاف الثاني!

العامل الثالث كان لأصحاب المشروع الوطني (العاشر للطائفية)، والذين باتوا يتعاطفون مع (الدولة) ويغضبون الطرف عن (أخطائها) مع الخلاف العميق بين المشروعين فكراً وسياسة ومارسة، وذلك لأغراض (تكتيكية) منها:

التخلص من (الحلول السياسية) والتي لن تكون نتائجها لصالحهم على الإطلاق، فلو استجاب المالكي مثلاً لمطالب المنتفزين خاصة في ما يتعلق بملف التوازن، أو أنه وافق على طلب بعض المحافظات السنّية بمنحها صلاحية الإقليم والحكم الذاتي، فإنهم لا شك سيكونون خارج (اللعبة)، ولذلك عملوا بقوة على وأد هذه المشاريع، ثم الدفع باتجاه الحل

العسكري، والذي قد يُؤول بالنتيجة إلى التقسيم الفعلي كما هي أغلب المؤشرات اليوم، لكن هذا بالنسبة لهم أفضل بكثير من تلك المشاريع (المشبوهة)!

الحل العسكري أيضاً كان بحاجة إلى (الصعقة) وهي أشبه باستراتيجية (الصدمة والتروع) لإرباك الجيش والقوات الأمنية التابعة للمالكي، وإحداث حالة فوضى عامة وفراغ أمني يشجّع الناس على الثورة والخروج المسلح ثم استيعاب هؤلاء (الثوار) بأطر جاهزة من خبراء الجيش العراقي الأول والمشهود له بالوطنية والخبرة العالية، وكان الأقدر على إحداث تلك الصدمة هم رجال (البغدادي)، ولقد وافق البغدادي بالفعل على لعب هذا الدور!

إن الخطة تبدو وكأنها أحكمت بحرفية عالية، بيد أن الأحداث أثبتت أن خطة أخرى كانت في رأس البغدادي تعبر عن صراع خفي بين (الشركاء) عنوانه الحقيقي (من يوظف من؟) وكان من النتائج الأولية لهذا الصراع هو تغيير مكان (الصدمة) من بغداد إلى الموصل! وهذه قصة ستكشف الأيام أسرارها وتداعياتها الخطيرة.

لقد كان البغدادي يتبع الخطابات الوطنية (الثورية)، كما كان يتبع خطابات الحراك، ولا يجد فيها ما يضيره، وكان يسمع من بعض المشايخ والسياسيين تحلياتهم (المنطقية) أن (داعش) لا تشكل إلا قدرًا محدودًا من مساحة الثورة فيискـت طالما أن هذا الوهم أو الإيمان يزيد من طمأنة الشارع السنـي ويحد من مخاوف المحـيط العربي والإسلامـي على قاعدة (تمسكن حتى تتمكن)، غير أن الأمور بدأت تتـكشف حينـما حـاول بعض الثـوار رفع صـور الرـئيس الـراـحل صـدام حـسـين، فـجـاء الرـدـ الحـاسـمـ منـ البـغـادـيـ، ليـثـبـتـ أـمـامـ الـعـالـمـ أـنـ هـوـ وـحـدهـ صـاحـبـ الـكـلـمـةـ الفـصـلـ، ثـمـ توـجـ هـذـاـ بـإـعـلـانـهـ عـنـ نـفـسـهـ خـلـيـفـةـ لـمـسـلـمـيـنـ، بـيـنـماـ اـكـتـفـيـ شـرـكـاؤـهـ بـإـصـدـارـ بـيـانـاتـ وـتـوجـيهـاتـ وـنـصـائـحـ شـرـعـيـةـ وـسـيـاسـيـةـ، وـهـوـ عـمـلـيـاـ يـتـحـداـهـ أـنـ يـثـبـتوـاـ وـجـودـهـ وـلـوـ بـالـحـضـورـ الشـكـلـيـ أـمـامـ الـكـامـيرـاتـ فـيـ أـيـةـ مـنـطـقـةـ مـنـ الـمـنـاطـقـ الـخـاضـعـةـ لـسـلـطـانـ خـلـافـتـهـ!

وهذا لا يعني التقليل من الدور الذي تضطلع به العشائر والفصائل المقاومة، لكن البغدادي يدرك أن هؤلاء جميعاً لا يحبون الانشغال به في الوقت الحاضر، ولذلك فهو يبادر ويسارع لرسم الخارطة السياسية التي يحلم بها وتنبيتها واقعاً على الأرض. إن المنطق (الفقهي) للبغدادي يحتم عليه أن يطلب البيعة ترغيباً أو ترهيباً، وسيحاسب الناس على ذلك، وقد لا يتاخر كثيراً عن إصدار أوامره بالتجنيد الإلزامي لتشكيل (جيش الخلافة)، بمعنى أن أهل السنة (من حلب إلى ديالي) سيكونون جزءاً من مشروع (الجهاد العالمي) لتنطلق (الفتوحات) في كل صوب!

وقد سُئل أحدـهـمـ: كـيـفـ سـتـواجهـونـ الـحـصارـ الدـولـيـ الـذـيـ سـيـفـرـضـ عـلـىـ دـوـلـتـكـ كـمـاـ فـرـضـ عـلـىـ صـدـامـ حـسـينـ مـنـ قـبـلـ؟ـ  
فـقـالـ: الـدـوـلـةـ الـتـيـ تـحـاـصـرـنـ سـنـرـسـلـ إـلـيـهـ سـيـلاـ مـنـ (ـالـمـفـخـاتـ)ـ حتـىـ تـرـضـخـ لـنـاـ وـتـفـتـحـ حدـودـهـاـ صـاغـرـةـ!

إن كل الذي تخشاه أن السكين التي قطعت الجبال عن أيدي المكـبـلـيـنـ حتـىـ هـمـواـ بـتـقـبـيلـهـاـ شـكـراـ وـأـمـتـنـانـاـ سـتـرـتـدـ عـلـىـ نـحـورـهـمـ بـأـدـنـىـ مـاـ يـتـصـورـونـ، وـسـتـجـلـبـ مـعـهـ سـكـاكـنـ الـعـالـمـ فـيـ سـلـسلـةـ لـاـ تـنـتـهـيـ مـنـ الـحـروبـ بـدـءـاـ مـنـ قـتـالـ (ـالـمـرـتـدـيـنـ)ـ وـ(ـالـمـنـافـقـيـنـ)ـ حتـىـ قـتـالـ آـخـرـ الـكـافـرـيـنـ وـالـمـشـرـكـيـنـ!

إن الذين يهـلـلـونـ لـدـوـلـةـ (ـالـخـلـافـةـ)ـ لاـ يـعـلـمـونـ أـنـ إـعـلـانـ الـخـلـافـةـ بـحـدـ ذاتـهـ هوـ إـعـلـانـ لـلـحـربـ عـلـىـ كـلـ دـوـلـ الـعـالـمـ بـمـاـ فـيـهـاـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ مـنـ دـوـنـ اـسـتـثـنـاءـ، وـقـبـلـ ذـلـكـ إـعـلـانـ لـلـحـربـ عـلـىـ كـلـ الـفـصـائـلـ وـالـجـهـاتـ وـعـنـاصـرـ الـثـورـةـ فـيـ سـورـياـ وـالـعـرـاقـ إـسـلـامـيـةـ أـوـ عـشـائـرـيـةـ، وـوـثـيقـةـ (ـالـمـدـيـنـةـ)ـ لـمـ تـدـعـ مـجـالـاـ لـلـشـكـ فـيـ هـذـاـ، وـعـلـيـهـ فـإـنـ الـحـروبـ الـقـادـمـةـ لـنـ تكونـ بـيـنـ (ـالـتـنـظـيمـ)ـ وـ(ـالـأـنـظـمـةـ)ـ كـمـاـ يـتـوـهـمـ الـبـعـضـ، بلـ هـيـ حـروـبـ سـتـخـوـضـهـاـ الشـعـوبـ نـفـسـهـاـ، وـسـيـجـدـ الـمـرـءـ نـفـسـهـ إـمـاـ جـنـديـاـ يـقـاتـلـ تـحـتـ رـاـيـةـ (ـالـخـلـافـةـ)ـ وـإـمـاـ (ـمـنـشـقـاـ)ـ وـرـافـضاـ لـلـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ لـيـسـتـحـقـ بـذـلـكـ حـدـ السـيفـ!

وـعـبـرـ حـدـودـ الـدـوـلـةـ (ـالـجـدـيـدـةـ)ـ سـنـجـدـ أـيـضـاـ مـنـ يـدـعـوـ لـطـاعـةـ (ـأـوـلـيـاءـ الـأـمـرـ)ـ وـالـاـلـتـفـافـ حـولـهـمـ لـمـقـاتـلـةـ (ـدـوـلـةـ الـخـواـرـجـ).

إـنـاـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ أـمـامـ سـيـنـارـيـوـ فـيـ غـايـةـ الـخـطـورـةـ، وـسـيـجـدـ (ـالـشـرـكـاءـ)ـ وـ(ـالـفـرـقـاءـ)ـ أـنـفـسـهـمـ قدـ أـصـبـحـوـاـ مـسـرـحـاـ لـالـفـوـضـيـ

(ـالـخـلـافـةـ)، وـوـقـوـدـاـ لـهـاـ وـأـدـاـةـ لـتـنـفـيـذـ مـشـارـيعـهـاـ مـهـمـاـ كـانـتـ عـنـاوـينـهـمـ وـتـوـجـهـاتـهـمـ.

إن مسؤولية الثوار في العراق وفي سوريا بكل فصائلهم لا تنحصر بحمل السلاح ومقاتلة (العدو)، فإن العبرة في كل عمل إنما تكون في النتائج والمالات، وعلى أهل الرأي والمشورة منهم ومن غيرهم أن لا يتربدوا في طرح تصوراتهم وتحليلاتهم حتى لو كانت تخالف التوجه السائد، فلقد عودتنا الأحداث أن السلوك الغوغائي لا يمكن التعويل عليه فهو أشبه بالرمال المتحركة، وإن التفصير في دراسة الواقع وما لاته واحتمالاته تجنبًا لتعكير الجو العام، أو تلانياً للتصادم مع العاطفة الجماهيرية يعد تخلياً عن المسئولية والأمانة التي حملها الله لأهل العلم، وتغريراً آثماً بهذه الجماهير نفسها.

العرب

المصادر: